خُطْبَةَ جُمُعَة مفرغةٍ

بِعِنْوَانِ

التبيين لبعض معاني اسم الله تعالى العَفْوَ وفضل العافين

لفضيلة الشيخ يحيى بن علي الحجوري حفظه الله

مسجد ابراهيم _شحوح _ سيئون

١٢ رجب ١٤٤٤ هجرية

فرغها : أبو عبد الله زياد المليكي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71]

أيها الناس : لله عز وجل تسعة وتسعون اسما من أحصاها دخل الجنة، الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيح.

وربنا سبحانه وتعالى يقول :{وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ} الآية. فأمرنا الله عز وجل أن ندعوه بأسمائه، وأخبرنا نبيه عليه الصلاة والسلام أن من أحصاها دخل الجنة، أحصاها بعلمه بها، وأحصاها بعمله بمقتضاها، وإنك اذ تستعرض تلك الأسماء الحسنى التي هي بالغة في الحسن غايته، ترى أن ما من اسم ثابت لله عز وجل إلا وفيه من المعاني العظيمة ما ينبغي فقهه وعلمه والعمل بمقتضاه، ومن تلك الأسماء اسم الله عز وجل "العفوّ" فهذا اسم ثابت لله عز وجل أثبته الله في قول سبحانه وتعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (43)}

[النساء:43].

أثبته سائر من صنف في الأسماء والصفات جملة من صنف في ذلك،

وهكذا :{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (97)إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (98) فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (99)}[النساء:97،99].

وهكذا :{ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (148) إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا (149)}[النساء:148،149].

وهكذا :{ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (60)}[الحج:60].

وهكذ :{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (1) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (2)}[المجادلة:1،2].

وهكذا من السنة قالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله أرأيت إن علمتُ ليلة القدر ماذا أقول؟ قال قولي : اللّهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني.

جاءت زيادة في بعضها كريم لا تثبت، إنك عفو تحب العفو فاعف عني.

هذه الأدلة تدل على هذا الإسم العظيم، وكل اسم فيه صفة لله سبحانه وتعالى، ودلت أدلة أخرى على هذه الصفة العظيمة لله صفة العفو، فمن صفاته العفو، وهو يحبه كما في هذا الحديث العظيم، عند الترمذي وأحمد وغيرهما، تحب العفو، عفو تحب العفو فاعف عني.

وقال الله عز وجل :{أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ} الآية.

وشاهدنا : وعفا عنكم، فقد كانوا في بداية الأمر إذا صاموا فحضر وقت الإفطار ولم يفطر الإنسان نام قبل أن يفطر لا يجوز له أن يفطر ولا يأتي أهله أيضا، فكان هذا من تخفيف الله سبحانه وتعالى عليهم كما في الحديث الثابت حديث البراء رضي الله عنه في قصة قيس بن صرمة أنه قال لأهله هل عندك شيء ؟ قالت: لا التمس لك، فذهبت تبتغي الطعام فما رجعت حتى نام، فلما كان وسط النهار أغمي عليه أي من شدة الجوع والجهد، فأنزل الله عز وجل التخفيف والعفو عن عباده والرحمة، فعفى عنهم من ذلك الحكم إلى حكم أيسر بهم وأرفق بهم، وهو جواز أنهم يأكلون ويشربون حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر في الليل كله:{فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ}

ففرحوا بذلك فرحا شديدا، هذا من معاني هذا الاسم، مدلولات هذا الاسم عفو الله سبحانه وتعالى عن عباده، وتخفيفه عن عباده، ومنها

توبته عليهم، فإن من مقتضيات هذا الاسم العظيم التخفيف عن العباد {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (25)}[الشورى:25].

من مقتضيات هذا الاسم العظيم قبوله للتوبة وستره لعباده، فلولا مقتضى هذا الاسم الاسم لله عز وجل وهو الستر لأنه عفو يعفو عن السيئات، وقد يطلق العفو على عدم المؤاخذة، ففي الصحيح عائشة تقول للنبي صلى الله عليه وسلم عند قول الله عز وجل:{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8)} على أنه كل إنسان سيحاسب، قال: ذلك العرض يا عائشة، من نوقش الحساب هلك، أي أن المؤمن يدني الله عليه ستره يوم القيامة، يدني عليه ستره ثم يقول يا عبدي ألم تفعل ذنب كذا، ألم تفعل ذنب كذا؟ حتى يظن أنه هالك، يقرره بذنوبه، ثم يقول: سترتها لك واغفرها لك.

أيها الناس: إن هذا الاسم والصفة لله سبحانه وتعالى عظيمة، {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ} فبماذا أمره ؟ أمره بمقتضى ما أراده وأحبه من عباده وما اتصف به فاعف، أمره بالعفو{فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ}.

{وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (13)}[المائدة:13].

فالله عز وجل من آثار هذا الاسم له وهذه الصفة أنه عفو، وحبه لها لهذه الصفة، أمر بها عبادة، أمر بها أنبياءه، أمر بها رسله، أمر بها سائر الصالحين، صفة عظيمة، صفة كريمة، صفة مكارم الأخلاق، صفة العز

والعزيزين، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"ما نقصَتْ صَدَقةٌ مِن مالٍ، وما زادَ اللهُ عَبْدًا بعَفْوٍ إلَّا عِزًّا، وما تواضَعَ أحَدٌ للهِ إلَّا رَفَعَهُ اللهُ.

إنّ كثيراً من الناس يتصور أن جانب العفو مذلة وتجد عنده أنانية، تجد عنده قسوة، إنّ العفو إنما يكون في حالة ما أنت مظلوم، إذا ظُلمت فقدرت فعفوت هذا هو جانب العفو الذي يحبه الله منك، : {وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133)} انظر أوصاف المتقين {الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ} هذه صفة المتقين،{وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134)}

من صفات المحسنين المتقين العفو عند القدرة ، قال إبراهيم النخعي: كان المؤمنون يكرهون أن يستذلوا، وكانوا إذا قدروا عفوا.

فهو يسوق نهجهم وطريقتهم أنهم كانوا إذا قدروا في حالة ما إذا ظلموا وقدروا عفوا، ويستغلوها فرصة أنه يعفو ليظفر بفضل من الله سبحانه وتعالى،{وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134) } [آل عمران:134].

من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة حتى يخيره من حور العين ما شاء، فيا عبد الله افهم هذا الفضل، لا يكون العفو في حالة ما أنت منصور، أو في حالة ما إذ لم يحصل لك مظلمة، إنما يطلب العفو منك فيما إذا ظُلمت فقدرت فعفوت، حصل ليوسف عليه الصلاة والسلام من إخوته ما قد ذكره الله في كتابه، وبعد ذلك : {قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ

إِنّهُ مَن يَتّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنّ اللّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (90)قَالُوا تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنّا لَخَاطِئِينَ (91)قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ} بعد هذه المراحل كلها، بعد الكذب، بعد محاولة القتل، إنما سلمه الله، بعد البيع، بعد الكيد، بعد الحسد، بعد عقوق الوالدين، بعد ما حصل من إخوته، هذا مقرر من كلام شيخ الإسلام وغيره، مما يدل أنهم ليسوا أنبياء، ارتكبوا عظائم وهم عازمون على التوبة تاب الله عليهم، والحقيقة أن هذا عفو عظيم، لا تثريب عليكم حتى التثريب، حتى التشنيع، حتى التوبيخ، {لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ (92)اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (93)}

بعد ذا كله الإكرام، والإيواء، والعفو، والصفح، هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، هكذا دل كتاب الله، وجزء سيئة سيئة مثلها هكذا يقول الله ولكن عقب أي من حيث الجواز جائز لكن خذ المكرومة،خذ المغفرة، خذ العز، {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللّهِ ۚ إِنّهُ لَا يُحِبُّ الظّالِمِينَ (40)وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مّن سَبِيلٍ (41)إِنّمَا السّبِيلُ عَلَى الّذِينَ يَظْلِمُونَ النّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (42)وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (43)}[الشورى:40،43].

العفو من شأن أصحاب العزم، أصحاب العزيمة، أصحاب قوة الإيمان، {إِنّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}

هذه صفة اتصف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع إنسان أراد قتله، كان النبي صلى الله عليه وسلم آتيا ومن معه من جهة قبل نجد فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاة فنزلوا فتركوا النبي صلى الله عليه وسلم تحت شجرة ظليلة، استضل فيها وجاء رجل أعرابي يقال

له غورث فاستل السيف فاستيقض النبي صلى الله عليه وسلم والسيف مصلطا في يديه قال : من يمنعك مني يا محمد؟ قال : الله، فسقط السيف من يد الرجل الأعرابي، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : من يمنعك مني؟ قال : كن خير آخذ، عفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم، وأسلم بهذا وصار صحابيا، اتصف بها النبي صلى الله عليه وسلم مع ثمامة حين كان أسيرا، والنبي يمر عليه وهو أسير، ماذا عندك يا ثمامة؟ قال : خير يا رسول الله إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، ومرة والثانية ثم قال : أطلقوا ثمامة، فأطلقوا ثمامة فذهب واغتسل وأسلم، وكان من خيرة من ناصر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وقومه.

اتصف بها النبي صلى الله عليه وسلم مع ذلك الخارجي الذي قال اعدل يا محمد، ويقول والله هذه قسمة ماعدل فيها وما أريد بها وجه الله،خارجي منافق، يعتدي على الجنائب النبوي، يتهمه بقلة العدل، وعدم الإخلاص، ما يريد وجه الله، ويزكي نفسه هو أنه أعدل وأنه أخلص مخلص لله، قال عمر دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، ما أنكر عليه أنه ما قال ما هو منافق ،قال دعه يخرج من ضئضئ هذا أناس تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

اتصف بها النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي الحباب المنافق حين جاء يعظ الناس في جمع من الناس فيهم أخلاط جاء يدعوهم، قال : اذهب أنت لا تغشنا بقتارة حمارك ومن أتاك ادعه، فاختلفوا منهم من يقول أخشنا يا رسول الله وارتفعت الأصوات، فذهب النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن عبادة قال : ألا ترى ما صنع سعد بن الحباب؟ قال : اعف عنه يا رسول الله، إن أهل هذه البحيرة أرادوا أن يسودوه كادوا أن يسيدوه يجعلونه سيد هذه المدينة، البحيرة المدينة، وإن الله عز

وجل بعثك فشرق بها، أي أصيب بالحسد، هذا الحسد هو الذي أحرق قلبه فاعف عنه، أنزل الله عز وجل تصديق قول سعد:{فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ}[البقرة:109].

تصديق هذا ، ولازم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك العفو حتى عرف أنه صفته، صفته مع سائر الناس، قال عبدالله بن عمرو: أجل واللهِ إنّهُ لموصوفٌ في التوراةِ ببعضِ صفتِهِ في القرآنِ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وحِرزًا للأُمِّيِّينَ أنت عبدي ورسولي سمّيتُك المتوكلُ ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ولا صخّابٍ في الأسواقِ ولا يدفعُ بالسيئةِ السيئةَ ولكن يعفو ويغفرُ ولن يقبضَه اللّهُ تعالى حتى يُقيمَ به المِلّةَ العوجاءَ بأن يقولوا لا إلهَ إلا اللّهُ ويفتحوا بها أعيُنًا عُمْيًا وآذانًا صُمًّا وقلوبًا غُلفًا.

هذه صفته، هذه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أمره الله أن يلزمها،{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (199)} [الأعراف:199].

هذه صفة المؤمنين،{وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63)}[الفرقان:63].

صفة المؤمنين القوام الصوام في آية الفرقان، صفة عظيمة، يعتبر كثير من الناس إن جانب فيها أنه مذلة، لازم هذه الصفة واظفر بها في حالة قدرتك، فإن الله عز وجل سما نفسه العفو، من أسمائه العفو، ومن صفته العفو، ومن صفة أنبياء الله، ومن صفة السلف رضوان الله عليهم، أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما خاض الناس في الإفك وممن خاض مسطح بن أثاثة أحد أقاربه، فلما أنزل الله عز وجل برآءة عائشة قال : والله لا أنفق على مسطح بعد الذي قال في عائشة، فأنزل الله عز وجل:{وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ

أن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ} قال: بلى يا رب إني أحب أن تغفر لي، وعاد على مسطح بالنفقة التي كان ينفقها عليه ابتغاء مغفرة الله سبحانه وتعالى، فإن العفو من أسباب المغفرة، ثبت عند أحمد، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"ارْحَموا تُرْحَموا ، و اغفِروا يغْفِرِ اللّهُ لكم ، و ويلٌ لأقماعِ القولِ ، ويلٌ للمُصِرّينَ الذين يُصِرُّون على ما فَعلوا و هم يعلَمون.

الشاهد من هذا : اغفروا، أي اعفوا،{وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (43)}[الشورى:43].

التحلي بذلك دعوة كما سبق من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقد رجع من الطائف حين ذهب إلى جهة الطائف إلى ابن عبد ياليل فلما بلغ قرن الثعالب وهو مغموم ناده جبريل يا محمد هذا ملك الجبال، فناده ملك الجبال يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فعلت، قال : إني أحب أن يخرج الله أو أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله، كل ذلك الكيد، كل تلك المحاولة بالقتل، كل تلك الأعمال الإجرامية من مشركي قريش في جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقابلها إني لأرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله، وفعلا تحقق مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونفعه الله والمسلمين بذلك الصبر، وصار مشركي قريش جلهم في فتح مكة هم بعد ذلك من حملوا الرايات في كثير من المعارك، منهم أبو سفيان وغيره، فعاقبة الصبر وعاقبة العفو مفيدة على الإسلام والمسلمين، وإنه لمن مكارم الأخلاق من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة، الخطأ الحاصل ممن أخطأ وعرف خطأه هذا عثرة، هذه زلة عرفها صاحبها يطلب العفو منك فيها، قال :{فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ}

هكذا أمر الله سبحانه وتعالى.

الخطبة الثانية :

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداه، أما بعد: أيها الناس إن من دعاء الصالحين طلب عفو الله، طلب عفو رب العالمين، ففي الصحيح عن أبي هريرة وجاء عن ابن عباس،لَمّا نَزَلَتْ على رَسولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عليه وسلّمَ {لِلّهِ ما في السّماواتِ وما في الأَرْضِ وإنْ تُبْدُوا ما في أنْفُسِكُمْ أوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ به اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشاءُ ويُعَذِّبُ مَن يَشاءُ واللّهُ على كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: 284]، قالَ: فاشْتَدّ ذلكَ على أصْحابِ رَسولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عليه وسلّمَ، فأتَوْا رَسولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عليه وسلّمَ ثُمّ بَرَكُوا على الرُّكَبِ، فقالوا: أيْ رَسولَ اللّهِ، كُلِّفْنا مِنَ الأعْمالِ ما نُطِيقُ، الصّلاةَ والصِّيامَ والجِهادَ والصّدَقَةَ، وقدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هذِهِ الآيَةُ ولا نُطِيقُها، أي لا نطيق أن نحاسب إشفاقا بما في أنفسنا، قالَ رَسولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عليه وسلّمَ: أتُرِيدُونَ أنْ تَقُولوا كما قالَ أهْلُ الكِتابَيْنِ مِن قَبْلِكُمْ سَمِعْنا وعَصَيْنا؟ بَلْ قُولوا: سَمِعْنا وأطَعْنا غُفْرانَكَ رَبّنا وإلَيْكَ المَصِيرُ، قالوا: سَمِعْنا وأطَعْنا غُفْرانَكَ رَبّنا وإلَيْكَ المَصِيرُ، فَلَمّا اقْتَرَأَها القَوْمُ، ذَلّتْ بها ألْسِنَتُهُمْ، فأنْزَلَ اللّهُ في إثْرِها: {آمَنَ الرّسُولُ بما أُنْزِلَ إلَيْهِ مِن رَبِّهِ والمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ باللّهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بيْنَ أحَدٍ مِن رُسُلِهِ وقالُوا سَمِعْنا وأطَعْنا غُفْرانَكَ رَبّنا وإلَيْكَ المَصِيرُ} [البقرة: 285]، فَلَمّا فَعَلُوا ذلكَ نَسَخَها اللّهُ تعالى، فأنْزَلَ اللّهُ عزّ وجلّ: {لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إلّا وُسْعَها لها ما كَسَبَتْ وعليها ما اكْتَسَبَتْ رَبّنا لا تُؤاخِذْنا إنْ نَسِينا أوْ أخْطَأْنا} [البقرة: 286] قالَ: قد فعلت {رَبّنا ولا تَحْمِلْ علَيْنا إصْرًا كما حَمَلْتَهُ على الّذِينَ مِن قَبْلِنا} قالَ: قد فعلت {رَبّنا ولا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لنا بهِ} قالَ: قد فعلت {واعْفُ عَنّا واغْفِرْ لنا وارْحَمْنا أنْتَ مَوْلانا فانْصُرْنا على القَوْمِ الكافِرِينَ} قالَ: قد فعلت.

يطلبون عفو الله ،هذه عظمة طلب عفو الله سبحانه وتعالى، أن يتواضع بها الإنسان، {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ

وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (16)}[المائدة:15،15].

والله لو لا عفو الله ورحمة الله وفضل الله ما زكى أحد من عباده، {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ}[النور:21].

هذا من فضل لله برحمته وبعفوه، أيدخل الجنة أحد منا بعمله؟ قال: لا، ولا أنت يا رسول؟ قال : لا ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل، فهو ذو الفضل العظيم، وبالرحمة،{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ}[فاطر:45].

والله لو لا عفوه ما ترك على ظهر الأرض من دابة، لكن يؤخرهم إلى أجل مسمى، فإنهم يعصونه، فإنهم يعصون رب العالمين، وأنت تعلم من يعصوا، خالقهم ورازقهم وموجدهم من العدم، وفي الصحيح حديث أبي موسى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"ليسَ أحَدٌ -أوْ ليسَ شَيءٌ- أصْبَرَ علَى أذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ؛ إنَّهُمْ لَيَدْعُونَ له ولَدًا، وإنَّه لَيُعافيهِم ويَرْزُقُهُمْ.

عفو سبحانه وتعالى، إن الله سبحانه وتعالى رتب على العفو عظيما من الأجور، ومكارم من الأجور، ففي الصحيح حديث حذيفة:" كان رجلٌ يداينُ الناسَ ، وكان من خلقه الجواز ،التسامح ،العفو في بعض الأمور، من الأمور المادية، فلما مات قال الله عز وجل : تجاوزوا عنه نحن أحق بذلك منه، رجل كان يعفو يسامح، يتجاوز، فكان هذا من تجاوز الله سبحانه وتعالى عنه يوم القيامة،"اتقِ اللهَ حيثما كُنْتَ، وأتبِعِ السيِّئةَ الحَسَنةَ تمْحُها، وخالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حسَنٍ.

فالعفو من أعظم مكارم الأخلاق، خالق الناس بخلق حسن، ولهذا لا

يلقى تلك المكارم والأجور إلا من كان على ذلك، قال الله سبحانه وتعالى:{وَمَا يُلَقّاهَا إِلّا الّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقّاهَا إِلّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (35) وَإِمّا يَنزَغَنّكَ مِنَ الشّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ ۖ إِنّهُ هُوَ السّمِيعُ العَلِيمُ (36)}[فصلت:35،36].

الرجل يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقول: واغدراه محمد يريد أن يذهب بمالي، يقول قاتلك الله أيغدر النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: دعوه إن لصاحب الحق مقالا، ويلتمس له ما كان يطلبه فيه ثم يأتي ثم يعطيه إياه، ثم يمر الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقترضه ثم يقول أوفيتني أوفى الله بك، فيقول : إن خير الله الموفون المطيبون، هكذا إن من العفو هو أن يكون الإنسان وفيا، عود نفسك أيها المسلم الوفاء، عود نفسك العفو، نعود أنفسنا مكارم الأخلاق التي دل عليها كتاب الله، بهذا ينبذ الإنسان ويزكو في الدنيا والآخرة، هذه مكارم الأخلاق التي دعا إليها كتاب الله، وأرسلت به رسل الله، إن جانب العفو لهو توفير على العبد، تريح نفسك، ذكر عن السيوطي رحمه الله على ما هو معلوم من حاله، هو عالم لكن حصلت له زلات في باب العقيدة، أنه كان نهما في العلم ،صاحب نهمة مقبل على العلم، كان بينه خصومة هو وآخر فأراد ذلك الآخر جمع له ناس يريد أن يأتي إليه ويجلس معه ويطلب العفو وهو مشغول ببحثه، فلما علم أنه قادم ورأهم أشرف عليهم من الباب أو من النافذة فقال : قد عفوت قد عفوت، فانصرفوا واستراح ووفر وقته، توفير ، العفو يريحك ويريح صاحبك هذا إذا كان ما عليك منه ضرر، شيء خاص بك أنت ولا ضرر عليك بل تزداد به عند الله عزا، توفير العفو، ولهذا في الصحيح أن رجلا قال: يا رسول الله أوصني، قال : لا تغضب.

كلمة واحدة أقصر حديث في السنة هذا الحديث، يا رسول الله أوصني ما زاده على كلمة واحدة لا تغضب، قال يا رسول الله أوصني،

قال : لا تغضب، كلما عاد عليه وهو يقول : لا تغضب، فإذا إذا غضب انفعل، وشتم ،وسب وقابل السيئة بأشد منها، ولكن إذا لازم الصبر والعفو فإنه والحال هذا وفر على نفسه، وفر على جهده، وفر على وقته، وفر في صحته، وكثرت الإنفعالات وما إلى ذلك، هذه مكرومة عظيمة نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا مكارم الأخلاق، وأن يدفع عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، والحمد لله رب العالمين.